القيم الإسلامية في مذهبة زهير بن أبي سلمى – دراسة نماذج

الصادق آدم عمر

قسم اللغة العربية، برنامج التربية، إدارة البرامج الأكاديمية، جامعة السودان المفتوحة

شارع عبيد ختم، أركويت، الخرطوم، السودان

The Islamic Values in the 'Mozahabut' Zuhair bin Abi Solma A study of models

Assadig Adam Omar

Section of Arabic Language, Education Program, Directory of Academic Programs, Open University of Sudan, Obeid Khatim Street, Arkaweet, Khartoum Sudan

المستخلص:

هدفت هذه الدراسة للتعرف على القيم الفطرية الإنسانيه المتسقة مع قيم الإسلام دين الفطرة، المتضمنة في مذهبة زهير بن أبي سُلمى، ومفهوم القيم في الأدب التربوي، ومفهوم القيم الإسلامية، استخدمت الدراسة المنهج الوصفي من خلال الاستقراء والاستنباط. وتوصلت إلى أن القيم تقوم على ركنين أساسيين، هما: ما يمكن أن يسمى تنظيماً لعلاقة الإنسان بربه في المقام الأول، ثم علاقة الإنسان بمجتمعه، وهذه القيم عبارة عن مبادئ، لا ترقى إلى مستوى المبدأ إلا إذا كانت سلوكاً وواقعاً. فالقيم معايير ومقاييس للحكم على الأشياء والتصرفات، إضافة إلى أنها موجهة للسلوك البشري، كما أنها تمثل معتقدات يتمسك بها أفراد المجتمع. وإن مفهوم القيم الإسلامية يتميز عن غيره بالعد السلوكي، والحكم الشرعي. كما توصلت الدراسة إلى عدة نتائج منها، أن زهير بن أبي سُلمى أحد أصحاب المذهبات، وهو من المتقدمين على سائر الشعراء، ويمثل زهير فئة المؤمنين بالحياة الأخرى، المتمسكين بالفضيلة الشخصية والاجتماعية، من وفاء وقناعة وإقدام ومصانعة معروف وبذل، وحكمته وليدة الزمن والاختبار، وهي واسعة النطاق، ونجد وصية زهير ودعوته إلى الاهتمام بالقيم وممارستها في الحياة الاجتماعية. تطرقت الدراسة

إلى نماذج من أدب زهير وشعره ومظاهر القيم فيها. وأوصت بمواصلة البحث في شعر زهير لما يحمله من قيم وأخلاق تفضي بالمجتمع إلى نهايات حسنة، لا شك أنه شاعر عميق في بنائه، خاصة مفضيات معاني القصيدة.

الكلمات المفتاحية: زهير بن أبي سُلمى، المُذهبة، القيم الإسلامية.

Abstract:

This study aimed to highlight the Islamic values contained in 'Mozahabut' Zuhair, and identify the concept of values in the contemporary educational literature and the concept of Islamic values. The study used the descriptive approach through induction and deduction reasoning. The results of the study were that: the values arised on two main pillars: What could be called Man's relationship with his Almightily God as first, and then Man's relationship with his society. These values are principles, but they do not rise to the level of a principle, unless they become a behaviour and a reality. The values are criteria and standards for judging the things and behaviour, in addition they act as steering wheel to the human behaviour, and they represent the beliefs that held by members of the community. The concept of Islamic values is distinguished from other values by the behavioural dimension and legitimate governance. The study also found that Zuhair, one of the 'Mozahabut' owners, was top listed of the old poets, and Zuhair represented the group of believers in other life, who maintained personal and social virtue, such as commitment, conviction, dedication, and loyalty, and his wisdom depended on time and experimental testing, which were very wide. It also found Zuhair commitment, and his call to paying attention to the values and its practices in the social life. The study covered samples of Zuhair literature and poem and manifestation of values in them. It was recommended that studies should be continued in Zuhair poem because of what it carried of values and ethics that can bring society to good

conduct. For sure he was a deep poet in his construction, especially the meaning of his poets.

Keywords: Zuhair bin Abi Solma, The Islamic Values, The Mozahabut

---

المقدمة

جعل الشعر في أي مجتمع من مجتمعات البشر، وبأي لغة كانت من أبلغ المقال وتوضيح الحال، بلسان معبرَّ، ومن المفترض فيه أن يعكس كل ما يحيط بالمجتمع والقيم الإسلامية، وتبليغ الآخرين بها، بل والدفاع باستماتة عن هاتيك القيم الإسلامية، ولما يعج مجتمعنا الإسلامي خاصة بكثير من القيم المستحبة، فإن الوقوف عندها يعني الاستراحة من وعثاء السفر ومشقة التيار، بل وكان السفر مع الشعر صحبة لا تنقضي لذائذها، ورفقة تكمن في النفس الإنسانية بعجائبها. والبحث في هذه القيم وأهميتها بحثاً حيوياً متجدداً؛ لارتباطه بفلسفة وثقافة المجتمعات، وهو ميدان معرفي تعددت فيه وجهات النظر، وتباينت فيه الآراء، لدرجة جعلت من الصعب على الباحثين الاتفاق على تحديد مفهوم القيم وأهميتها وتصنيفها.

ومما يزيد في إشكالية البحث في موضوع القيم الإسلامية، تداخلها المتأصل والعميق مع فلسفة وثقافة المجتمع، بكل أبعاده ومؤثراته الداخلية والخارجية، والتي تؤثر في تحديد وتشكيل النظام القيمي الذي يتبناه أفراد المجتمع، فالمجتمعات الإسلامية على سبيل المثال تستمد أصولها ومقوماتها من تعاليم الإسلام وأحكامه المستمدة من القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة، والتي بدورها تتفاعل مع غيرها من الثقافات، فأثرت فيها وتأثرت بها، وهي لا تزال تتفاعل تفاعلاً كبيراً، ومؤثراً مع الظروف والتحديات التي يعيشها المجتمع المعاصر.

ونخشى أن ينفرط عقد النظام المجتمعي بقصد أو بغيره، وقد تطغى الضرورة على الحذر والحرص، فيجد أن لا مناص من مغادرة هذه الخدور، فأمور الحياة وشؤونها عديدة.

ونجد أن دراسة القيم وموضوعاتها تعتبر من الجوانب البالغة التعقيد؛ لارتباطها بفلسفة وثقافة المجتمع، ولا سيما في عصر تداخلت فيه الثقافات وامتزجت بشكل أدى لذوبان بعضها في بعض، ولذا تحاول هذه الدراسة تحديد القيم التي أشار إليها زهير بن أبي سُلمي، وهي هادفة وموجهة لحياة الأفراد. وبالتركيز على القيم الإسلامية الاجتماعية المتضمنة في مذهبته التي تمثل مدرسة تربوية في رأي الباحث، تتضح فيها معالم وسمات النظام القيمي للتربية الإسلامية على مستوى الأسرة، والجماعة، والمجتمع.

ولتحقيق ذلك فقد حاولت الدراسة الإجابة عن الأسئلة الآتية:

السؤال الأول: ما مفهوم القيم في اللغة والاصطلاح؟

السؤال الثاني: ما مفهوم القيم الإسلامية؟

السؤال الثالث: ما القيم الإسلامية المتضمنة في مذهبة زهير بن أبي سُلمى؟

السؤال الرابع: هل تتساوى القيمة الدينية لدى كافة البشر؟

وأخيراً جاءت هذه الدراسة؛ لإيجاد واستنباط القيم الإسلامية في مذهبة زهير بن أبي سُلمي، المتضمنة في مذهبته التي تمثل مرتكزاً أساسياً يوجه الحياة القبلية آنذاك واليوم نحو الخير والصلاح والسلم؛ لتحقيق أهداف القيم الإسلامية. وقد استخدمت الدراسة المنهج الوصفي من خلال الاستقراء والاستنباط للقيم من مذهبة زهير.

أولاً: مفهوم القيم في اللغة والاصطلاح

مفهوم القيم في اللغة

جاء في لسان العرب القيم بمعني: الاستقامة والاعتدال، يقال: استقام له الأمر (ابن منظور،1994م)، وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ

فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ﴾ فصلت (6). أي في التوجه إليه دون الآلهة. والقوام العدل، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ الفرقان (67)، وقوام الأمر: نظامه وعماده، لقول هو قوام أهل بيته، وقيام أهل بيته، وهو الذي يقيم شأنهم(ابن منظور،1994، 1781) وفى قوله: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ النساء (5)، وقد تجئ القيم بمعنى المحافظة، والاصطلاح، ومنها قوله تعالى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ آل عمران (75)، أي ملازماً محافظاً. وفى المفردات للراغب ((ديناً قيماً)) أي ثابتاً مقوماً لأمور معاشهم ومعادهم، فالقيمة اسم للأمة القائمة بالقسط (الأصفهاني، 2009م،417).

والقيمة واحد– وأصله الواو لأنه يقوم مقام الشيء، والقيمة ثمن الشيء بالتقويم (ابن منظور، 1994، 1781) وقيَّم الأمر: مقيمه، وأمر قيم: مستقيم، وقوله تعالى: ﴿ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾ البينة (3)، أي مستقيمة تبين الحق من الباطل على استواء وبرهان(ابن منظور، 1994، 3785)، والقيم السيد وسائس الأمر وقيم القوم الذي يقومهم ويسوس أمرهم (ابن منظور، 1994، 3785)

من خلال ما ورد سابقاً أن المفهوم اللغوي للقيم يعني الاستقامة والاعتدال والتوسط والإصلاح والمحافظة والتمسك بالحق والثبات عليه.

مفهوم القيم في الاصطلاح:

إن مفهوم القيم قد نال قدراً كبيراً من اهتمامات العلماء والباحثين من فلاسفة وتربويين، على اختلاف انتماءاتهم العلمية، مما أدى إلى تباين وجهات نظرهم في تحديد مفهوم ومدلول القيم، فينظر للقيم غالباً على أنها تلك الأشياء التي تُعد جيدة لذاتها، مثل: الجمال، والحق، والحب، والأمانة والولاء، والتي تعد أشياء مفضلة، بصورة شخصية، فقد رآها بعضهم أنها مجرد اهتمامات أو رغبات غير ملزمة، بينما رآها آخرون: أنها معايير

مرادفة للنظام ككل (زاهر،1984،15)، أو أن تلك الأشياء نشاطات وخبرات وغيرها التي بتوازنها يتحقق الوجود الإنساني. وقد أشار جون ديوي إلى عمق الخلاف والآراء التي تحيط بموضوع القيم حين قال (أن الآراء حول موضوع القيم تتعاون بين الاعتقاد من ناحية، بأن ما يسمى قيماً ليس في الواقع سوى إشارات انفعالية ومجرد تعبيرات صوتية، وبين الاعتقاد في الطرف المقابل بأنها المعايير العقلية، الفعلية الضرورية، ويقوم على أساسها كل من الفن والأخلاق) (الأمين–2009، 417/1).

وسنناقش هذه الآراء المتعددة لتعريف القيم من حيث الجوانب الآتية:

ثانياً: نشأة القيم:

يناقش فيلي (villi): أربع نظريات ظهرت منذ القرن الثامن عشر حول نشأة القيم، هي النظرية الفردية (villi1850–1700,)، ومن روادها – سبنسر وروسو.

النظرية الطبيعية: (1850– 1910 ,Shavev) ومن روادها (سبنسر وهوتنفتن)

النظرية الثقافية: (1950– 1920)، ومن روادها (الفردفيير).

يظهر للباحث أن النظرية الثقافية هي التي ترى أن الثقافة هي المصدر الوحيد للقيم تلبس بين حقيقتين، هي: أن القيم مكون ثقافي، وأن الثقافة مؤثرة في القيم.

ونجد أن الثقافة في مفهومها الشمولي تنشأ عن معطيات مختلفة، من ضمنها القيم الدينية، والاجتماعية، وقيم أخرى ترسبت في تجارب الأشياء؛ ليصبح ذلك كله مؤثراً في صيرورة القيم وتجلياتها.

ويظهر للباحث أن القيم نشأت في الإطار الاجتماعي لا في الإطار الثقافي العام، بيد أن موسوعة القيم قدمت عرضاً عن حركة البحث في نشأة القيم وتعريفها بأنها: ((الدين ومثاليات المجتمع وظروف البيئة واقتصادها، مع اعتبار المستجدات المعاصرة، مثل: ثورة الاتصالات والمعلومات. كل تلك تحدد قيماً وأخلاقاً تسود في مجتمع أو تنهار في آخر الأمر)) (إحسان، –1995، 88).

ثالثاً: تصنيف القيم:

يتخذ الباحثون في تصنيف القيم ثلاثة منظورات، تتعلق بالآتي:

أ. منشأ القيم، فردية، اجتماعية، ثقافية.

ب. من حيث الحقول التي تنتمي إليها أشكال القيم: وهي حسب تيلرtaler ((القيم الشخصية، وقيم الأشياء، والقيم الذاتية، وقيم رد الفعل، والقيم الوظيفية، وقيم النجاح والفعل والتفكير، وقيم الحالة الراهنة، والقيم القصدية)).

ت. من حيث وظائف القيم، أخلاقية، جمالية، نفعية: ويتداخل في هذا التصنيف الأخير تصنيف يميز فيه بعض الباحثين بين القيم الخارجية الوسيلة المتحدة إلى غاية ((كالكرم والشجاعة))، والقيم الداخلية الغائية المنشودة لذاتها أصلاً مستقلة عن أي غاية، وإن تحققت بها الضرورة غايات اجتماعية، (وذلك كالحرية، والكرامة، واحترام الآخرين، والحكمة، والوحدة، والعدالة، وتسمى القيم من هذا النوع بالقيم والمثل العليا) (كلاب،2005، 92) ويبدو أن القيمة في أصلها تنشأ عن ممارسة فردية، يستحسنها المجتمع، لتتحول إلى قيمة ثقافية صحيحة، فالقيمة كما يراها الوضعيون، وتراها المدرسة الاجتماعية، معطىً اجتماعياً، وإن حكم الفرد فيها إنما ينعكس على ما تواضعت عليه الجماعة.

ث. القيم معايير ومقاييس للحكم على الأشياء

ذهب بعض الباحثين إلى القول: بأن القيم معايير محددة، يمكن من خلالها تمييز الحسن من القبيح، الخير من الشر، والتي يمكن استخدامها للحكم على الأشياء كونها جيدة أو سيئة. ومن أصحاب هذا الاتجاه "شبقر" "وسترنغ" Westring الذين عرفا القيم بأنها: (المقاييس والمبادئ التي تستعملهما للحكم على قيمة الشيء، وهي المعايير التي نحكم من خلالها على الأشياء: الناس، الأغراض، الأفكار، الأفعال، المواقف بأنها جيدة، قيمة، مرغوبة، أو عكس ذلك بأنها سيئة، ومن غير قيمة أو قبيحة (Shavev,1976,67)، أما

الشافعي فقد عرف القيمة:((بأنها مجموعة من المعايير والمقاييس المعنوية بين الناس، يتفقون عليها فيما بينهم، ويتخذون منها ميزاناً يزنون به أعمالهم، ويحكمون به على تصرفاتهم) (الشافعي، 1971، 45).

وتذهب إحسان إلى أن القيم هي: معيار عام ضمني أو صريح، فردي، أو جماعي، يعتمده الأفراد والجماعات في الحكم على السلوك الاجتماعي قبولاً أو رفضاً، كما أن القيم هي: مقاييس جمالية واجتماعية وخلقية تقررها الحضارة التي ينتمي إليها أفراد المجتمع، وفقاً لتقاليد المجتمع، وأخلاقياته وأهدافه في الحياة، كما عرفت القيم على أنها: ((مجموعة مبادئ وضوابط سلوكية وأخلاقية تحدد تصرفات الأفراد والجماعات، ضمن مسارات معينة، إذ تصبها في قالب ينسجم مع عادات وتقاليد وأعراف المجتمع)) (إحسان ،1995، 88) وفى هذا السياق يجب الإشارة إلى أن القيم الاجتماعية إنما هي: نوع من المعايير السلوكية الأخلاقية، التي ترتبط بمعايير أخرى يحددها الإطار العام للمجتمع. والمرحلة الحضارية التاريخية التي يمر بها، والظروف الموضوعية المحيطة به في ظواهره وعملياته الاجتماعية.

ج. القيم موجهات للسلوك

نظر بعض الباحثين إلى القيم باعتبارها موجهات للسلوك البشري، حيث يفضل الفرد بناءً عليها سلوكاً آخر، وممن ذهب لذلك "هالستد" الذي عرف القيم بأنها: (المبادئ والمعتقدات الأساسية، والمثل والمقاييس، أو أنماط الحياة التي تعمل مرشداً عاماً للسلوك، أو نقاط تفضيل في صنع القرار، أو لتقويم المعتقدات والأفعال، والتي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالسمو الخلقي والذاتي للأشخاص) (أبو العينين–1980، 68).

وعرف القيم آخرون بأنها: ((مجموعة من الاتجاهات العقلية، التي تكون فيما بينها جهازاً شبه متقن، يستخدمه الإنسان في قياس وتقدير المواقف الاجتماعية) (عبد الرحمن،1966، 55).

وتمر القيم بمراحل عديدة، حتى تستقر وتصبح هي الوحدات المعيارية في الضمير الاجتماعي لدى الإنسان، وأثناء هذا التطور والنمو، تأخذ القيمة الاجتماعية صفة الثبات النسبي. والقيمة تمثل ركناً أساسياً في تكوين العلاقات البشرية، إذ إن القيمة هي التي تنتج السلوك، والسلوك هو الذي يدفع المرء إلى تكوين شبكة العلاقات البشرية، وهذه تؤثر على تكوين القيمة البشرية وتطورها. ووافق هذا كل من "باير ونوفل" كما أورده محي الدين (1981، 37) بأن: (القيم التي يتبناها الأشخاص عوامل مهمة محددة لسلوكهم، فعندما يؤدي المرء سلوكاً معيناً أو يختار مساراً مفضلاً له على سلوك أو مسار آخر، فإنه يفعل هذا في ذهنه، أنه السلوك أو المسار الأول، الذي يساعده على تحقيق بعض من قيمة بصورة أفضل في السلوك الآخر)

ثالثاً: مفهوم القيم الإسلامية وخصائصها

1. مفهوم القيم في الإسلام:

قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الروم (30)، جاء استعمال لفظ القيمة في الفكر الإسلامي في حدود مدلولاته في اللغة، معبراً به عن قدر الشيء وأهميته، سواء أكانت في الماديات أم المعنويات، فقيمة الشيء قدره، وقيمة المتاع ثمنه، ويقال: ما لفلان قيمة: أي ما له ثبات ودوام على الأمر (المعجم الوسيط ،1978، 768)، ومن أمثلة استعمالها، قول الله تعالى﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ البينة (5)، أي الدين المستقيم، وقوله تعالي: ﴿رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً * فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾ البينة (2-3)، أي عادلة مستقيمة محكمة، وقال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلى عَبْدِهِ الْكِتابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا (1) قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾ الكهف (1-2).

وقد جاء استعمالها في القرآن الكريم كثيراً في وصف الله تعالى دينه وكتابه، مبيناً قدرهما ومنبهاً إلى ما فيهما من هداية وخير، وإقامة ورعاية لمصالح الناس وشؤونهم، ثم استعملت في الكتابات الحديثة للدلالة على المثل والمبادئ الإسلامية. وعرف بعضهم القيم بأنها: "المعايير أو الموازين التي تكشف عن قيمة الأفعال، والأشخاص، والمذاهب"(الطبري1983، 12،169)، وفى هذا التعريف نظر لأنه عرف الشيء بنفسه، حيث جاءت القيمة في تعريف القيم، فاتفق المعرّف، وشرط المعرّف أن يكون واضحاً، حتى يتبين به معني الشيء، والذي يظهر أن القيم: صفات ذاتية في طبيعة الأقوال والأفعال والأشياء، مستحسنة بالفطرة، والعقل، والشرع. ونجد أن البحث في القيم الإسلامية باعتبارها مصطلحاً ومحوراً تربوياً حديثاً قد تناولته بعض الدراسات المعاصرة بالبحث النظري، وهو لا يزال بحاجة إلى مزيد من الجهود والدراسات الميدانية المتخصصة، التي تحدد وتوضح الأطر التربوية والنفسية للقيم الإسلامية، التي تسعي لوضعها موضع التنفيذ والتطبيق. وقد عرفت القيم الإسلامية تعريفات حديثة، تأثرت في مجملها بالاتجاهات التربوية المعاصرة. ويظهر هذا التأثير في ترتيب وتنظيم بعض الآراء المطروحة حول تعريف القيم، التي سبقت الإشارة إليها، وإضافة البعد الإسلامي لها، ويلاحظ هذا البعد في تركيز التعريفات المقترحة على ركنين أساسين يميزان القيم الإسلامية عن غيرها، وهما: البعد السلوكي، والحكم الشرعي، الذي يحكم به على هذا السلوك من حيث كونه حسناً أو قبيحاً. فقد عرف القيسي القيم الإسلامية بأنها ((مجموعة من المثل العليا، والغايات، والمعتقدات، والتشريعات، والوسائل، والضوابط، والمعايير لسلوك الفرد والجماعة، مصدرها الله عز وجل. وهذه القيم هي التي تحدد علاقة الإنسان وتوجهه إجمالاً وتفصيلاً مع الله سبحانه وتعالى، مع البشر ومع الكون، وتتضمن هذه القيم غايات ووسائل(القيسي،1995، 32/2).

إضافة إلى ما سبق، نجد أن القيم الإسلامية تتميز بخصائص وطبيعة تميزها عن غيرها من القيم، نظراً لا ستنادها إلى الإسلام، ولذلك فهي تجمع بين الثبات، والتغير،

والمرونة، وقابليتها للتفاعلات الزمانية والمكانية، وآليات التفاعل معها، مراقبة في ذلك مستجدات الحياة المعاصرة ومتطلباتها في مختلف مناحي الحياة.

2. خصائص القيم الإسلامية:

مما يميز القيم الإسلامية عن غيرها من القيم، معرفة خصائصها، والتي بمعرفتها يزداد المرء ثقة وقناعة بكونها حلاً لمشاكل البشرية، ووسيلة لإسعادهم في الدارين. وفيما يلي سنتناول هذه الخصائص باختصار، مع ذكر الدليل القرآني.

أ. الخصائص الربانية: وهي من أعظم مزايا القيم الإسلامية على الإطلاق، وذلك أن الوحي الإلهي هو الذي وضع أصلاً لها، وحدد معالمها، قال تعالى: ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الواقعة (80).

ب. خصائص ربانية المنهج: وفى ذلك يقول الله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ يوسف (108).

ت. خصائص تتسم بالعدل: فالعدل في الإسلام مطلق، وبعيد عن أهواء البشر، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ النساء (58).

ث. ارتباط القيم بالجزاء الدنيوي والأخروي: فالتزام شرائع الإسلام وقيمه مرتبط بالترغيب والترهيب، وبالوعد والوعيد، قال تعالى: ﴿وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاء غَدَقًا﴾ الجن (16).

ج. الوسطية: وذلك بالجمع بين الشيء ومقابله، بلا غلو ولا تفريط، فمن ذلك التوازن بين الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ القصص (55).

ح. الواقعية: القيم الإسلامية واقعية، يمكن تكييفها أنه تكليف فيها بما لا يطاق، فإنها راعت الطاقة البشرية، قال تعالى: ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا

اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة: 286).

خ. العالمية والإنسانية: فقيم الإسلام التي تضمنتها رسالة الأنبياء والرسل كافة، وختمها النبي صلي الله عليه وسلم وليست للمسلمين بخصوصهم، وإنما هي منفتحة على سائر الأمم والشعوب، ينهلون منها، فتقوم سلوكياتهم، وتعدل من اتجاهاتهم، فتكون هذه العالمية مدخلاً إلى الإسلام عند كثير من الأمم والشعوب والأفراد، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ الأنبياء (107).

ونلحظ مما سبق: أن القيم التي ذكرت آنفاً إنما هي على سبيل المثال، وليس الحصر، ويمكن القول: في هذا الصدد أن القيم الإسلامية قابلة للتحقق في المجتمع، بمختلف الوسائل والطرق، وتتكيف مع مختلف الأحوال والأزمان، والأمصار، دون أن يؤثر ذلك في جوهرها، ولذلك نجد أن القيم الإسلامية من منظور واسع وشامل، يكاد يكون مرادفاً للمعني العام للإسلام، باعتباره ديناً شاملاً لجوانب الحياة كلها.

رابعاً: القيم الإسلامية في مذهبة زهير

مدخل:

قبل تناول عرض ومناقشة القيم الإسلامية في مذهبة زهير، باعتبارها موضوعاً، يلزم الحديث عن حياة وشعر زهير بن أبي سلمى:

اسمه:

زهير بن أبي سُلمى ربيعة بن رباح بن قرة بن الحارث بن مازن وينتهي نسبه إلى مضر بن نزار بن معد بن عدنان.(الزوزني 1994، 164)، وزهير بن أبي سلمى هو أحد أصحاب المذهبات، وثالث ثلاثة من المتقدمين على سائر الشعراء في الجاهلية.

مولده:

ولد زهير بنجد في نحو حوالي عام 520م، ونشأ في غطفان، وبين هؤلاء القوم نشأ وترعرع، ومنهم تزوج مرتين، في الأول تزوج بأم أوفى التي ذكرها في مطلع مذهبته

أمن أم أوفى دمنة لم تكلم بحومانة الدراج فالمتثلم

(ابن أبي سلمى، 1408هـ/1988م)

وينسب زهير إلى مزينة، ومزينة هي بنت كعب بن ربوة، وأم عمرو بن أدَّ، إحدى جدات زهير لأبيه، كان أبو سلمى واسمه ربيعة بن رباح قد تزوج امرأة من بني سهم ابن مرة بن عوف بن سعد ابن ذبيان، هي أخت بشامة بن الغدير الشاعر(الشريفة،1995، 32).

شعره:

ولعل أبرز ما في سيرة زهير وأخباره، تأصله في الشاعرية، فقد ورث الشعر عن أبيه، وخاله، وزوج أمه أوس بن حجر، وانقطع زهير لسيد شريف هو هرم بن سنان، فمدحه وتغنى بكرمه وحبه للخير والسلام، وتوسطه للصلح بين قبيلتي عبس وذبيان في حرب السباق، فاغدق عليه هرم العطايا، ومن طريف ما يروى في هذا الصدد، أن هرماً (حلف أن لا يمدحه زهير إلا أعطاه، ولا يسأله إلا أعطاه، ولا يسلم عليه إلا أعطاه، عبداً، أو وليدة، أو فرساً، فاستحيا زهير مما كان يقبل منه، فكان إذا رآه في ملأ قال: عموا صباحاً غير هرم، وخيركم استثنيت)(الاصفهاني: 330،15،1407).

حياته:

عاش زهير زمناً طويلاً، ربما بلغ التسعين أو نيف من عمره. وتدلنا المذهبة على أنه كان في الثمانين يوم نظمها فقال:

سَئِمتُ تَكالِيفَ الحْياةِ ومنْ يَعِشْ ثَمانِينَ حَولاً لاَ أبالكِ يَسْأمُ

(ابن أبي سلمى، 1408هـ/1988م)

ومن الأخبار المتصلة بتعمير زهير ما روى صاحب الأغاني: أن النبي صلى الله عليه وسلم نظر إلى زهير وله مائة سنة، فقال: (اللهم أعذني من شيطانه)! فما لاك بيتاً حتى مات (الأصفهاني،1407، 337).

إذا صحت هذه الرواية يكون زهير قد أدرك سنة 630، أي التاسعة للهجرة، ولكن يرجح أنه توفي قبل إسلام ولديه، لماذا؟ لأن الرواة لم يذكروه معهما، ولا يجوز أن ينسب مثله لو كان حياً،؟؟ وقد أسلم ابنه بجير في أواخر السنة السابعة للهجرة وأسلم كعب في السنة التاسعة للهجرة (البستاني، 1993، 142).

وذكر البغدادي أنه مات قبل البعثة بسنة، أي نحو سنة 611م، إذا صحت روايته، ولا ندري مستندها، فيكون زهير قد تجاوز الثمانين، وتكون رواية الأغاني باطلة، ومهما يكن من شيء، فإن الشاعر كان من المعمرين، ومات على جاهليته، سواء أدرك البعث أم لم يدركها.

أدبه:

لزهير بن أبي سلمى شعرانطوى على مدح هرم بن سنان وأبيه وقومه، ومدح الحارث بن عوف، كما انطوى على بعض الهجاء والفخر، وأشهر ما في أدبه معلقته المشهورة الميمية من البحر الطويل، تقع في نحو ستين بيتاً، نظمها الشاعر عندما تم الصلح بين عبس وذبيان عقب حرب السباق، وقد مدح فيها المصلحين، وحذر المتصالحين من إضمار الحقد، ووصف الحرب وبيَّن شرها، وختم كلامه بمجموعة من الحكم. وقد ظهرت المعلقة مرتبة وفقاً للأقسام التالية: التغزل، وصف الأطلال وذكر الرحيل، مدح هرم بن سنان والحارث بن عوف: كيف أصلحا بين المتحاربين، نصائح للمتصالحين، تحذير بني عبس من الحرب، وصف أهوال الحرب ونتائجها، الاعتذار عن بني ذبيان، وذكر حصين بن ضمضم(البغدادي، 1347، 84).

شهرته:

طارت لزهير شهرة واسعة في عالم الأدب والسياسة، وهو أحد الثلاثة المقدمين على سائر الشعراء الجاهليين: امرئ القيس، وزهير، والنابغة، وعُني زهير بشعره، فكان كثير التنقيح والتهذيب له، حتى زعموا أنه كان ينظم القصيدة في أربعة أشهر، وينقحها في أربعة أشهر ثم يعرضها على أصحابه في أربعة أشهر، فيتم ذلك في حول ((عام)) كامل؛ من أجل ذلك عرفت قصائده بالحوليات. وزهير من أشد الشعراء الجاهليين دقة في الوصف، واستكمالاً للصورة الحسية بطريقة متسلسلة، ترضي العقل والخيال معاً (نيكلسون دينولد،1978، 56).

ديوانه:

لديوان زهير بن أبي سلمى روايتان مطبوعتان: الأولى: رواية الأصمعي البصرية والثانية: رواية ثعلب الكوفية، رواية الأصمعي بشرح الشمتري نشرها لندبرج (Landbevg) السويدي سنة 1889م، ونشرت في مصر، وتمتاز بالتشدد في الرواية، ولا تحتوي سوى ثماني عشرة قصيدة ومقطوعة. ورواية ثعلب نشرت في القاهرة، وتزيد على رواية الأصمعي بعشرات القصائد والمقطوعات، ورفضها العلماء لعدم التثبت في روايتها(الفاخوري – 1991م، 156).

قيمة حكمة زهير:

حكمة زهيرٍ أوسع نطاقاً من حكمة طرفة بن العبد، ولكنها دونها حياة وتأثيراً. وهي ساذجة في أكثرها، بعيدة عن كل تفكير عميق، وثقافة وعلم، يرسلها الشاعر إرسالاً ولا يربط بين مختلف الآراء فيها، وهو إلى ذلك يوردها بطريقة تعليمية جافة، ويحاول دعم كل رأي من آرائه ببرهان، هو نتيجة المخالفة وعقوبة العصيان، وهكذا كان دستور البدوي تاماً، يتضمن نظام العمل ونظام العقوبات. (الفاخوري 1991، 156).

مصدر حكمة زهير:

نصب زهير نفسه قاضياً وحكماً، وأخذ على عاتقه إصلاح مجتمعه ، فعمد إلى الإرشاد والنضج، ونطق بالحكمة مضمناً لها عقيدته ومذهبه في الحياة، وجعل من حكمته هذه دستوراً مفصلاً لتهذيب النفس، وحسن التصرف، والسياسة الاجتماعية البدوية. عاش زهير أكثر من ثمانين عاماً، فعرف الحياة البدوية، وخبر حلوها ومرها، فأملت عليه شيخوخته الحكمة الهادئة، وخبرته الواسعة، وغيرته على الإصلاح القبلي، وآراءه الحكيمة، وزاد عليها ما سمعه من أفواه الناس. كانت حكمة زهير وليدة الزمن، والاختبار الشخصي والعالمي، البعيد عن ثورة العاطفة واندفاع الأهواء، وليدة العقل الهادئ، الذي يرقب الأحوال والناس، ويستخلص الدروس التي توصل إلى سعادة الحياة الجاهلية.(الفاخوري،1991، 156).

أقوال عن زهير:

1. أجمع النقاد على نقل رأي سيدنا عمر بن الخطاب في زهير حيث قال: ((كان لا يعاضل)) أي لا يدخل الكلام في بعضه بعضاً، وكان يتجنب وحشى الكلام، ولم يمدح أحداً إلا بما فيه (الأصفهاني،1407، 337).

2. ابن سلام الجمحي: يقول: إن من قدم زهيراً احتج بأنه كان أسن الشعراء شعراً، وأبعدهم من سُخف، وأجمعهم للكثير من المعاني في قليل من الألفاظ (الجمحي،1408، 25).

3. ابن قتيبية: قال: ((إن زهيراً كان يتألق ويتعفف في شعره (ابن قتيبة،1890، 25).

4. المبرد: قال: ((ومما كان يستحسنه سيدنا عمر بن الخطاب من الشعر، شعر زهير بن أبي سلمي))(المبرد، 1899، 75).

ونلحظ أن كل النقاد يشيدون بشعر زهير، ورصانته في الوزن، وفي حسن اختيار الألفاظ والعبارات، وفى الوضوح الفكري، والسهولة الأدائية، وذلك أن زهيراً يرمي إلى النفع،

ولا ينظم لإرضاء الفن الصافي، ولا لإرضاء الحاجة الشعرية فيه، وهو لأجل ذلك يأخذ شعره بالثقاف والتنقيح والعقل، وكأنه يفحص ويمتحن كل قطعة من قطع نماذجه، فهو يعنى بتحضير مواده، ويتعب تعباً شديداً في هذا التحضير.

إسلامه:

ولا ينبغي أن يغيب عن بالنا قط، أن العديد من الرواة والنقاد يعتبرون أن زهيراً كان على دين أجداده الوثنيين، وأما مافي شعره من معاني التوحيد، فهي مجرد خواطر أكسبته إياها تجارب الحياة وما ترسب في ثقافته من الحنيفية الكبرى (الأديان السابقة)، وأما ما ينسب إلى زهير من الشعر الديني، فلم يُقل على لسانه إلا لأن زهيراً عُرف بالحكمة التي تلائم أذواق البدويين، وبالأمثال التي تنسجم مع طبيعتهم.

ولكن! على كل حال، نظن أن زهيراً كان مؤمناً بقيم الحنيفية الأولى، وأنه على فطرة الإسلام الحميدة وسجيته إسلامية قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الروم (30).

المُذَهَّبة "المعلقة"

المذهبة من البحر الطويل، عدد أبياتها (59) بيتاً موزعة فيما يلي: (6) في الأطلال، (9) في الاظعان، (10) في مدح الساعين إلى الصلح، (21) في الحديث عن المتحاربين، (13) في القيم والحكم. نظم زهير مذهبته أي معلقته لما آلت إليه حرب داحس والغبراء، وفى مديح الحارث بن عوف وهرم بن سنان، وأوصى في مذهبته بالصلح والقيم الخلقية التي تجعل المجتمع يعيش في وحدة السلام. وأم أوفى التي ذكرها في مطلع قصيدته هي زوجته الأولي، التي طلقها بسبب موت أولاده منها، وقيل بسبب غيرتها، وندم لاحقاً على فعلته، وتزوج بالثانية فأنجبت له كعباً الذي نظم قصيدته المشهورة "بالبردة" بمطلع (بانت سعاد)، وألقاها في حضرة النبي صلى الله عليه وسلم سنة "630م" عندما

عقد صلحاً معه ودخل الإسلام، والابن الثاني بجير، وكان من أوائل الذين دخلوا الإسلام. وامتازت مذهبة زهير بالدعوة إلى القيم التي أقرها الإسلام.

خامساً: نماذج من القيم الإسلامية في مذهبة زهير:

1. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أخص دعوة الإسلام، ومن أهم المرتكزات الإسلامية، لأن الأمر بالمعروف زيادة في فاعلية القيم الفاضلة، والنهى عن المنكر صيانة للفضائل من أن يتسلل إليها الضعف والانكماش، وقد أهتم القرآن الكريم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويظهر ذلك في قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ آل عمران (110).

وقال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ آل عمران (104).

ولقد لعن الله الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داؤد وعيسي بن مريم عليهما السلام؛ لأنهم كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه، قال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ* كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ المائدة (78–79).

وفى الهدي النبوي قال الرسول صلى الله عليه وسلم: ((من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فمن لم يستطيع فبلسانه، ومن لم يستطيع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان))(مسلم، 1320، 21، 69، 49). وقال صلى الله عليه وسلم: ((والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن)) (الترمذي،1411، 1، 468).

تدعو كل الآيات السابقة والأحاديث وغيرها، الإنسان إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لمعالجة قضايا المجتمع، لأن المنكر الموجود في المجتمع هو غياب القيم الإسلامية التي ينضوي تحتها الناس.

ومن الشعراء من يرى أن الشيطان يمثل حافزاً يدفع الإنسان إلى أرذل القيم والأفعال، وهو من ثم يطفئ فاعلية الإنسان الخيرة من جهة، ويزيدها في الشر من جهة أخرى، ولذا كثيراً ما يحذرنا من الشعراء ومن قولهم (الترمزي1411، 4، 468).

وراعٍ في سَيْرِ الشَيطانِ وهَو بِلاَ رَيْبٍ إلى الغْايةِ القُصْوىَ يُراعيِكَا

(ابن أبي سلمى، 1408هـ/1988م)

وهذا الشاعر الإنسان زهير ابن أبي سلمى شهد حرب السباق وتطاحن القبائل، ورأى أن الحروب منكر وويل على الإنسان، فكرههما كرهاً صادقاً، وسعى في الأمر بالمعروف وهو الصلح، وامتدح المصلحين، وندد بالمحرضين على استخدام قوة السلاح، ودعا إلى نبذ الأحقاد، ووقف موقف الحكم والقاضي. كما وقف موقف الهادي والمرشد والمصلح. وكان مبدأه أن ما يحل سلمياً خير مما يحل حربياً، وأن الحرب هي آخر ما يجب اللجوء إليه، وأن الطيش والعناد يقودان إلى دمار قاتل، يقول زهير:

ومنْ يَعْصِ أطْرافَ الزُجاجِ فإنّهُ يُطيعُ الْعوالي رُكّبتْ كُلّ لَهْزِمِ

(ابن أبي سلمى: 1988، 101).

فبهذا أراد زهير أن يقول: إن من أبي الصلح، لم يكن بدٌّ من الحرب فلم يقل ذلك مباشرة، بل ذهب يبحث عن صورة تمثل الصلح عندهم وهو أمرُ بالمعروف، وسرعان ما لمعت في خياله عادة كانت معروفة لديهم، وهي أن يستقبلوا أعداءهم إذا أرادوا الصلح بأزجة الرماح، ومن ثم قال ((ومن يعص أطراف الزجاج) يريد ((ومن لا يطع الدعوة إلى الصلح والسلام)). ومضى يمثل الدخول في الحرب بإطاعة أسنة الرماح والسيوف، وهذا منكر(ضيف – 1997، 325).

وعلى الرغم من أن مقتضيات الحياة القبلية في الجاهلية مرتبطة بعضها ببعض، استطاع زهير الدعوة للسلام والخروج على سنة المجتمع القبلي، فهناك العرض والشرف، والعصبية التي تدعو إلى مناصرة أبناء العشيرة وهناك تقاليد الثأر، والدفاع عن الجار،

وهناك موارد المياه والمراعي، والطبيعة البشرية في شتي أهوالها وأطماعها، كل ذلك يفرض على الجاهلي أن لا يتقاضى عن وسيلة السلاح، إلا زهير فإنه دعا بفطرته السليمة التي تبغض الحرب وتحب السلام إلى نبذ العنف، وخيار السلام، وهذا هو المعروف.

2. الوفاء بالعهد:

الوفاء بالعهد هو تأكيد على الالتزام بالمسؤولية الأخلاقية من خلال الممارسة السلوكية، لتنفيذ ما تعاهد عليه بين الإنسان وأخيه الإنسان، فالوفاء بالعهد تأكيد للأصالة والصدق بين القيمة الأخلاقية الكامنة في وجدان الإنسان، وبين الظاهرة السلوكية الناتجة من خلال الممارسة العملية، وقد حثنا القرآن الكريم على ذلك فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ المائدة (1)، والعقود هي العهود والمواثيق التي أبرمها الإنسان مع ربه، أو مع الناس، فأعطي العهود أبرمها الإنسان مع الله عز وجل- أو أخذها على بني آدم، فيجب الوفاء بها جميعاً، أما العهود التي أبرمها الإنسان مع الناس، فيكون منوط به أن تتعلق بالحق والخير، وإلا فلا عهد في عصيان ولا تمييز في إثم. ومن الوصايا العشر التي أوصى الله بها كل الأمم ما جاء في قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ الأنعام (151). وفى الهدي النبوي قال صلى الله عليه وسلم في شأن الوفاء بالعهد: (أربع من كن فيه كان منافقاً، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا أؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر) (البخاري،1975، 1، 30). وفى تطرق زهير ابن أبى سلمى إلى القيم التي يبني عليها المجتمع معاملاته في جميع نواحي الحياة، فالعهد أمر عظيم، والوفاء به واجب، فيما يتعلق بالحياة الفردية الشخصية، يريد الإنسان أن يتحلى بالوفاء، وإن من أوفى

بما وعد لن يصل إليه الذم، ومن أطمأن قلبه في طريق البر والخير فإنه لا يتردد في تنفيذ ذلك، كما قال زهير:

وَمنْ يُوفِ لاَ يُذمَمْ، ومَنْ يُهدِ قَلبَه إلى مُطْمَئِنِ البرِ لاَ يَتجَمْجَمُ

(ابن أبي سلمى، 1408هـ،1988م، 102)

وفى خطوة أخرى نجد الشاعر ابن زيدون يبرز أصالة هذه القيم – الوفاء بالعهد – في ممدوحه حين جعل الوفاء سجية في نفسه، فلا مجال عنده لإخلاف العهود أو نقض المواثيق فقال ابن زيدون:

مَلِكٌ سَجيتُه الْوفاءُ فَمالَهُ بالعْهِد في ذي خُلّة إخلالُ

(ابن زيدون،1969، 48)

يرى زهير أن الوفاء يقود إلى نظام في العلاقات يؤدي إلى الخلق الحسن، وهو قيمة لا تصدر إلا عن نفس إنسانية تخشى الذم وتخاف الخيانة والنكوث. ويمكن لنا أن نقول أن قيمة الوفاء تكتسب من البيئة التي يتربى عليها الإنسان، وهذا ظاهر من اتصاف المجتمع الجاهلي بهذه القيمة – الوفاء بالعهد – غير أنه مجتمع تسوده الفوضى العارمة، ولكن عندما كان الوفاء بالعهد مسؤولية من قبل الإنسان تجاه أخيه الآخر تواطئوا عليها وسادت مجتمعهم ، فأصبح كل من ينقض المواثيق ويخلف الوعد فهو مذموم عندهم، وذلك ظاهر في قول زهير آنفاً.

3. الكرم:

الإسلام دين يقوم على البذل والعطاء والإنفاق، ويضيّق على الشح والبخل والإمساك، ولذا حبب إلى الناس أن تكون نفوسهم سخية، وأكفهم ندية، ووصاهم بالمسارعة إلى دواعي الإحسان، ووجوه البر، وأن يجعلوا دواعي الخير وتقديمه إلى الناس شغلهم الدائم، لاينفكون عنه في صباحهم ومسائهم.

وقد حثنا القرآن الكريم على الجود والكرم، فقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ البقرة: 274. ومن الواجب على المسلم أن يقتصد في مطالب نفسه، حتى لا تستنفذ ماله كله، فإنه عليه أن يشرك غيره فيما آتاه الله من فضله. وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا المعني، حين قرن النهي عن التبذير بأمر الإنفاق على القرابة والمساكين، فإن المبذر متلاف سفيه، يضع في شهوته الخاصة زبدة ماله، فما يبقي بعد للحقوق الواجبة والعون المفروض، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ الإسراء (27). ودعوة الإسلام إلى الجود والكرم مستفيضة مطردة، وحربه على البخل موصولة. ومن الهدى النبوي الذي يحث على الكرم قوله صلى الله عليه وسلم ((اتقوا النار ولو بشق تمرة)) (البخاري1997، 1، 429).

وقوله صلى الله عليه وسلم ((السخي قريب من الله، قريب من الجنة، قريب من الناس، بعيد عن النار، والبخيل بعيد عن الله، بعيد عن الناس، قريب من النار، بعيد من الجنة، والجاهل السخي أحب إلى الله – عز وجل – من عالم بخيل)). (ابن بسام 1994، 763)، وفى الإسلام شرائع محكمة لتحقيق هذه الأهداف والقيم النبيلة، منها تنشئة النفوس على حب الخير، وإثراء العون، وصنائع المعروف.

وقد تناول الشاعر زهير قيمة الكرم والجود، وقدمه بشكله السلوكي والأخلاقي وأبعاده النفسية، فيجب على الإنسان الذي أعطاه الله الغني والمال أن ينفقه في وجوه الخير، ومن بخل به ولم ينفقه في وجوهه بل حفظه ولم يعط القريب، فإن ذلك القريب سيستغني عنه، وسيصل الذم لذلك المانع. وقد أشار زهير إلى هذا المعنى بقوله:

ومنَ يكُ ذا فَضْلٍ فَيبْخلْ بفضْلِهِ عَلَى قَوْمِهِ يُستَغنَ عنهُ ويُذْمَمِ

(ابن أبي سلمي: 1408–1988، 1، 103).

ولعل الكرم عند الشاعر زهير هو أخذ إفرازات الخلق الحميد الذي يتمتع به الإنسان، والكرم من المثل والقيم المميزة، لأن من أضدادها البخل، وهو أذم الصفات، وأسوأ الخصال التي حذر منها الشاعر.

وقد مدح شعراء الإسلام الكرم ووصفوا صاحبه بالخير والفضل، والقربة من الله تعالى فقال زهير في هذا المعنى: (نور الدائم 2005، 1، 20).

وابْذِلْ ولا تَكُ ذا بُخلٍ تُزادُ بهِ يَومَ القِيامةِ عنْ هواكَ ذِي الْكرمِ

(ابن أبي سلمى، 140هـ/1988م)

وعلى هذا يمكن للإنسان أن ينجح في إزالة عوائق البخل، التي تعترض مشاعر الخير فيه، وتقربه من الذم، وهذا في نظر زهير قيمة أخلاقية كاملة، إذ المعروف أن المرء يشتد أمله في الحياة، وتتوثق أواصره بها، عندما يكون صحيح البدن، طامحاً في المستقبل، يقتصد في نفقته، ويضاعف في ثروته ليطمئن إلى غدٍ.

يرى زهير أن قيمة الكرم لها أثر في حياة الإنسان الاجتماعية، فبها يقي عرضه من الشتم والمساس به، ويلقى الحمد من قومه، وهذا من الآراء الشائعة في الأدب القديم، حيث قال:

ومَن يَجْعلْ المَعرُوفَ مَنْ دُونِ عِرْضِه يَفرهُ ومَن لاَ يتّقِ الشّتْمَ يُشْتَمِ

(ابن أبي سلمى، 140هـ/1988م)

4. حفظ اللسان وحسن الكلام:

حفظ اللسان وحسن الكلام موضعان أخلاقيان، لأن الكلام الحسن هو الذي يسدد السلوك الإنساني نحو قيمة الإنسانية الصحيحة، ويزيد من فاعليته، ويرفع من كفاءته، في حين أن بذاءة اللسان وسوء الكلام يتنازعان السلوك الإنساني، ويحبطان فاعليته. وقد صور القرآن الكريم آثار كل من الكلام الحسن، والكلام البذيء على السلوك الإنساني،

فقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ* تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ إبراهيم (24–25)، وقد أولي الإسلام اللسان أهتماماً كبيراً؛ لدوره الإيجابي حين يهذبه الإيمان، ودوره السلبي حين يمتلكه الشيطان، وتعرضت آي القرآن لذلك في قوله تعالي﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ الإسراء (36). وقوله تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ ق (18)، وقوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَٰئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ فاطر (10)، وفى الهدى النبوي قوله صلى الله عليه وسلم، لمعا ذ بن جبل ((ثكلتك أمك وهل يكب الناس على مناخرهم في جهنم إلا حصائد ألسنتهم))(ابن حجر،1997م).؟

وعن سفيان بن عبد الله رضي الله عنه قال:((قلت يا رسول الله حدثني بأمر اعتصم به، قال:(قل ربي الله ثم استقم)، قلت يا رسول الله ما أخوف ما تخاف عليّ؟ فأخذ بلسانه ثم قال هذا)؟ ونجد كثيراً من الشعراء تعرضوا في شعرهم إلى حفظ اللسان، وحسن الكلام، وعلى رأسهم الشاعر "ابن حنديس" حيث يظهر سمواً أخلاقياً حين يكظم غيظه ويرتفع بنفسه عن الصغائر، ويأبى هجو من تطاول عليه، رغم مقدرته الفائقة للرد عليهم بالهجاء المضاد يكون وقعه على أعراضهم كحد السكاكين، مما يتعارض مع رفعة أخلاقه وطهارة مسلكه فقال:

ومَا أناَ مِمَنْ يرَتضِي الهْجوَ خطّةً علىَ أن بعضَ النّاسِ أصبَحَ يَهجُونِي

ولَو شَئْتَ يَومْاً لا نْتصرنَا بِمقْولٍ يَحِيلُ علىَ الأعَراضِ حَدَ السّكاكِينِ

(ابن حنديس،1949م 46، 46).

ويصل السمو الأخلاقي عند زهير بن أبي سلمى إلى أن لسان الإنسان يمثل نصفه، فإن أحسن به الكلام كان حسناً؛ وأن أساء به الحديث كان ذلك قبيحاً، ويتمثل ذلك في قوله:

لِسانُ الفْتيَ نِصْفُ ونْصِفُ فُؤَادِهِ فَلَمْ يَبقَ إلاّ صُورةُ اللّحمِ والّدمِ

(ابن أبي سلمي،105):

وقول زهير يؤكد أن لسان العاقل وراء قلبه، وقلب الأحمق وراء لسانه، وإن أخطر شيء على الإنسان لسانه، وصدق الإمام الشافعي حين قال:

إذا شِئْتَ أن تَحياَ سليِماً منْ الرّدى ودِينُكَ موَفُورٌ وعرِضُكَ صَيّنٌ

لسِانُكَ لا تَذكُرْ بهِ عَوْرةَ أمرئ فَكلُكَ عَوراتٌ وللنّاسِ أَلْسَنِ

(الشافعي،1988، 56).

وكان العرب يعتقدون أن القلب مقر العقل، أو هو العقل بعينه كما في كتب اللغة ((وكان أرسطو يجعل القلب موضع القوى النفسية، بخلاف جالينوس الطبيب الذي يجعلها في الرأس. وكان ابن سينا يأخذ برأي أرسطو))(البستاني،1993، 142).

وقد قال العرب من عهد بعيد: المرء بأصغريه قلبه ولسانه، ولم يذكروا العقل في كلامهم، وزهير لم يبتعد عن حكمة العرب حين ذكر قوله ((لسان الفتي نصف...) كما أنه لم يبتعد عنها حين يقول:

وإنّ سَفاهَ الشّيخِ لا حَلمَ بَعدهَ وإنّ الفتَي بَعدَ السّفاهةِ يَحلُمُ

(ابن أبي سلمى،1988).

ويصور زهير في البيت السابق أن الحلم معنى أصيل في السلوك الإنساني، ويعني ذلك انسجام أخلاق الإنسان مع الجوارح، فيظهر صدقه في هيبته الأخلاقية المحمودة. فهذه قمة القيم والأخلاق الإسلامية، التي يحيا بها المجتمع حياة كريمة طيبة، تشرق أنوارها

على الأمة، وتتمحي بها الخصومة والجدل والمراء، ويكون بها لذة القلب وصفاؤه؛ لإدراك لذة المثابرة والتأثير بذل اللسان لله وحده. ونلحظ من شعر زهير أن الصمت قيمة أخلاقية فاضلة، والصمت يجعل الإنسان ضابطاً للسانه، فيضبط اللسان على مقتضى الشرع، وهو من أهم الأمور وأصعبها على الإنسان. والأصل في اللسان ألا يستعمله الإنسان إلا في الخير، وأن يضبطه عن كل شر، بل عن اللغو، وهذا ماأثاره زهير لما فيه من الفؤاد؛ لأن اللسان يبرز شخصية الإنسان على حسب ما يتكلم به.

5. الموت والبعث:

الموت والبعث آيتان من آيات الله، تدلان على قدرته وعظمته، والموت ظاهرة معاينة لا تحتاج إلى دليل، أو برهان لإثباتها، فالمشاهد في عالم الشهادة أي الكون أن الكائنات من إنسان وحيوان وشجر وغيرها تموت، وهذا شيء محسوس بخروج روح الإنسان، ثم دفنه وتواريه عن الحياة، وكذلك موت الحيوان وتحلله في باطن الأرض، وكذلك تجف الأشجار وتتساقط أوراقها، فهذه كلها علامات تدل على أن الموت لا يحتاج إلى دليل أو برهان، أما الدليل المعنوي، هو الذي نعرفه من عالم الغيب، عن طريق الوحي وهو القرآن والسنة.

أما الدليل من القرآن فقوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ آل عمران (185).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ لقمان (34)، وقوله تعالي: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ فَمَالِ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ النساء (78)، أما البعث فقد جاء به القرآن الكريم في قوله تعالي: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ يسن (51)، وقوله تعالي: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ

اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ الزمر (68)، وقوله صلى الله عليه وسلم: ((يأيها الناس اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة، جاء الموت بما فيه)) (أبي داوود،1345، 2، 187).

من خلال المفاهيم السابقة، التي وردت في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، انطلق شاعرنا زهير يذكر أولئك الذين يرون الموت يطاردهم، فيتمادون في الهروب، والخوف، فلم ينفعهم ذلك وإن حاولوا الهروب إلى السماء، فإن الموت سيلاقيهم لا محالة فيقول زهير

ومَنْ هابَ أسبَابَ المْنايَا يَنِلْنَهُ وإنْ يَرقَ أسبابَ السّماءِ بِسُلّمِ

(ابن أبي سلمى:1988 ،107)

وهذا ما سار عليه شاعر التصوف الألبيري، حيث أشار إلى الزهد أن يكون منهج الحياة للإنسان، ففي سكرات الموت قال:

كأنّي بِنفسي وهَيَ فِي الّسكراتِ تُعالَجُ أن تَرْقى إلى اللّهواتِ

وقَدْ ذَمّ رحَلي واسْتَقَلّتْ رَكائبِي وقَدْ آذنتِني بِالّرحيل حُداتَي

(الألبيري،1970، 59-60)

والشاعر زهير يؤمن بالموت، ويرى أنه لابد للإنسان أن يستعد لهذه الرحلة – الموت – لأن المنايا لن تفرق بين الصغير والكبير، وإنما تأخذ من انقضى عمره في هذه الحياة فقال:

رَأيتُ المْنايَا خَبْطَ عَشْواءَ منْ تُصِبْ تُمِتْهُ ومنْ تُخْطِيء يُعَمرْ فَيُهرِمِ

(ابن أبي سلمى، 1408هـ/1988م)

وقوله ومن تخطئه المنايا، فحذف المفعول وحذفه سائغ وكثير في الشعر والتنزيل، ومعنى ذلك رأيت المنايا تصيب الناس من غير نسق وترتيب وبصيرة، كما أن الناقة تطأ على غير بصيرة، ثم يقول من أصابته المنايا أهلكته ومن أخطأته أبقته إلى الهرم. وكأن

زهير أخذ معنى الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَم تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مسَمًّى إِنّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ الزمر (42).

إيمان الشاعر بالموت وتذكره قيمة إسلامية عظيمة، ولكن الشاعر أخطأ حين وصف إن المنايا ضبط عشواء بل هى أمرُ مكتوب ومقدر ومحدد لا يقدم ولا يؤخر، ينبغي على الناس أن يتذكروا أن الموت حال بكل نفس، فعليهم أن يراجعوا أنفسهم. والشاعر قد ذكرهم بعدم نسيان الموت، والغرور، ونقص الإيمان بفعل الخطايا التي يرتكبها الإنسان. والشاعر زهير كان مؤمناً بالبعث ويوم الحساب ذلك ظاهرٌ جلياً في قوله:

يُوخَر فَيوضَعُ فِي كتابٍ فَيُدخْر لِيومِ الحْسابِ أو يُعجلِ فَينقِمُ

(ابن أبي سلمى، 1988، 108).

أي يؤخر عقابه ويرقم في كتاب ويدخر ليوم الحساب، أو يعجل الله له العقاب في الدنيا قبل المصير فينتقم من صاحبه يريد لا مخلص من عقاب الذنب آجلاً أوعاجلاً.

6. الحياة الدنيا:

تظهر هذه القضية التوجيهات الأخلاقية، والمظاهر السلوكية للإنسان من خلال إقباله عليها، أو إدباره عنها، ففي الرؤية الإسلامية نجد تحذيراً متكرراً من الاغترار بالدنيا، لأنها تهبط بالإنسان إلى الجانب المادي حيث الشهوات والملذات، وهذا يصطدم مع الأخلاق الفاضلة، ومع أصالة الإسلام، يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ المنافقون (9). وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ فاطر (5). وفى الأحاديث النبوية قوله صلى الله عليه وسلم: (كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل، وعد نفسك من أهل القبور)، وقوله صلي الله عليه وسلم: (لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقىالكافر منها شربة ماء). (النووي،1993).

وعلى ضوء ما سبق، فإن فلسفة الزهد تتلخص في رد شيء إلى طبيعته وعالمه الخاص، فالدنيا وما فيها من النعم التي أحلها الله تنتمي إلى عالم مادي، أما الآخرة والإيمان فهي حقائق روحية يتشبعها الإنسان في روحه وقلبه، ومن هنا فإن كل ما ينتمي إلى الدنيا علينا أن نضعه بين أيدينا وخارج ذواتنا، ولا بد من التقليل من قيمة الدنيا، والإقبال على ما أعده الله للمؤمنين من ثواب وخير؛ ولذا وقف شعراء الزهد من هذه الدنيا موقف القيم الإسلامية ومنهج من نفي الأمومة عن الدني؛ لأنها قليلة الحياء تأكل وليدها بعد الميلاد، فالأم الحقيقية هي التي عهدها الناس تتلطف بأبنائها وتوليهم عطفاً ورعاية وحناناً، فهي قاسية تهشم ما فوقها، وهي سراب بلا أمل، فلابد للإنسان أن يبادرها بالطاعات، والقيم الفاضلة، مما لا يدع مجالاً في قلبه ووجدانه فقال الألبيري:

لاَ كُنتِ مِنْ أمَّ لَنا آكلةً بَعد الوِّلادةِ مَا أَقل حَياكِ

ولَقدُ عَهدنَا الأمَ تَلطُفُ بِابْنهِا عَطفاً عَليهِ وأنتِ ما أقسَاكِ

ما فَوقَ ظَهْرِكِ قَاطنٌ أوَ ظَاعنُ إلا سَيشُهم فِي نِقَالِ رحاكِ

(الألبيري،1991، 41-42).

وشاعرنا زهير وقف من هذه الحياة الدنيا موقف المحذر منها، لمساوئها وعيوبها، وأنها لا تساوي شيئاً، فهي متاع قليل، وتعب مستمر، ومشقة، وقد ملّ هذه الحياة وتأفف منها، وعاش طويلاً حتى سئم من تكاليفها وشدائدها فقال زهير:

سَئِمْتُ تكَاليِفَ الحْياةِ ومِنْ يَعِشْ ثَمانِينَ حَوْلاً لا أبالكِ يَسأَمُ

(ابن أبي سلمى، 1408هـ/1988م، 2)

نلحظ أن الصورة التي ظهرت عليها الدنيا عند زهير، تعكس طبيعة إحساسه تجاه الحياة السائدة في عصره، والتي كانت تبدو عنواناً لها في شتى الميادين، مما ترك أثره في نفس الشاعر؛ لذلك لم ير فيها جانباً مشرقاً، مع أنه يراه فترة زمنية إن طالت أو قصرت سيسأم الإنسان فيها البقاء، وهذه دعوة لقيمة إسلامية عظيمة وجليلة، وهي الزهد في الدنيا

وعدم الإقبال عليها، فهذه كلها إشارات لابد للمجتمع أن يأخذ بها، ويرى الشاعر أن من يطول عمره وإن بلغ الثمانين سيملُ الكبر،لا أبا لك كلمة يراد بها الإعلام والتنبيه.

7. العفو والصلح:

هو مقابل السيئة بالحسنة، والذنب بالمغفرة، والخطأ بالعفو، وفى هذا تعزيز للقيم الأخلاقية، وتوطيد للفضائل والمكارم، لأن الذي اتسع صدره للعفو، لا يأتي بما يناقض، وفي هذا إكثار لحضور القيم الأخلاقية في المجتمع، وإتاحة لانتشارها وتوسعها، وهو في الوقت نفسه يقلل من السيئة، ويحجم الرزيلة، بل ويحاول إخفاءها، ويقبح فاعلها، فتزداد الفضيلة انتشاراً في المجتمع، ولذا حثنا القرآن الكريم على العفو والصفح، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ آل عمران (134).

وقوله تعالى﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ النور (22). ونجد أن جميع الأنبياء يعفون ويصفحون عمن أساء إليهم. وهذا سيدنا هود عليه السلام. وهو يستمع إلى إجابة قومه بعد أن دعاهم إلى توحيد الله، قال تعالي: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ* قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الأعراف (66-67).

وفى الهدى النبوي قوله صلي الله عليه وسلم: ((من كظم غيظاً وهو قادر على إنفاذه، دعاه الله – عز وجل – على رؤوس الخلائق يوم القيامة، حتى يخيره الله تعالي من الحور العين ما شاء)) (مسلم، 2009).

وقد ترنم الشعراء بهذه القيم الإسلامية والأخلاق الفاضلة، مما يدل على أصالة هذه القيمة وفضلها على بقية الأخلاق، لأنها لا تتجاوز الحد الثابت، وتصل إلى درجة الإحسان، وإذا كان خلق العفو يصدر عن صاحب قيم وقلب رحيم يمتلك المشاعر

والأحاسيس، مما يجعله يرق ويتسامح مع من أساء إليه، فإن هذا الخلق ينبع من صاحب عقل فذ وتفكير متزن. وهذا ما قاله ودعا إليه شاعر الحكمة والقيم زهير في مدحه لمن قاما بالعفو والصلح والصفح بين قبيلتي غطفان وذبيان، فمدحهما، وأقسم على ذلك فقال:

يميناً لَنعْمِ السّيدانِ وجدتُما عَلَى كُلّ حالٍ مِنْ سُحيْلٍ ومُبرمِ

(ابن أبي سلمى، 1408هـ/1988م، 3)

وتظهر عظمة هذه القيمة – العفو والصفح – حين يكون المتحلي بها هو زعيم القوم، وأن يكون ممتلئاً بالرحمة والرأفة، وسريع النجدة قبل بداية الفتنة، فقال زهير عن السيدين:

تَدارَكتُما عِبْساً وَذَبيانَ بعَدماَ تَفانوُا وْدَقوُا بَينهمَ عِطَر مُنْشَمِ

(ابن أبي سلمى، 1408هـ/1988م، 33)

وترتفع قيمة وأصالة العفو وتسمو قيمتها الأخلاقية، حين يتصل العفو والصفح بصفة الكرم؛ وتقديم الأموال بين يدي أصحاب الثأر، تفادياً للحرب والقتال، وجلباً للسلم، فنبذل المال ونسدي المعروف، حتى يكتمل الصلح بين القبيلتين، فهذا خير يجلب الحب للعشائر، فقال زهير في ممدوحيه:

وَقد قُلتْمُاَ: إنْ نُدرِكَ الّسلمَ وَاسِعاً بِمالٍ وَمعروفٍ مِنْ القْوِل نَسّلمِ

فأصَبحتُما منْهِا على خيرِ موطنِ بَعيدينِ فيِهاَ منْ عُقُوقٍ ومأثَمِ

عَظِيمْينِ فِي عُلّيا مَعْدٍ هُديتُما ومنْ يستَبِحْ كنْزاً مِنْ المُجدِ يَعظُمِ

(ابن أبي سلمى، 1408هـ/1988م،5)

هذا من كمال الخلق عند من يقدم ماله ونفسه بين أيدي الأعداء، للعفو والصلح، والجاهلية الى عالم الرسول صلى الله عليه وَسلم محوها كانت تقوم على ضربين من الجهالة، جهالة ضد العلم وأخرى ضد الحلم، فأما الأولى، فتقطيع ظلامها يتم بأنواع

المعرفة وفنون الإرشاد، وأما الأخرى فكف ظلامها يعتمد على كبح الهوى ومنع الفساد. وقد كان العرب الأولون يفخرون بأنهم يلقون الجهل بجهل أشد، فقال الشاعر:

ألاَ لا يجْهلنْ أحدٌ عَليّنَاَ فَنجهلُ فَوقَ جَهْلِ الجْاهِلينَا

(ابن أبي سلمى، 1408هـ/1988م)

وزهير ينبذ ما كانت عليه الجاهلية من أخذ الثأر، والقدرة على الانتقام، فكان يشدد ويحذر على عدم نقض العهد بعد العفو والصلح والسلم، فيرشد الجمع إلى عظمة هذه القيمة عظمة المكان الذي أقيمت عليه فقال زهير:

ألا أبْلُغَ الأحَلافَ عِنْي رسالةً وذَبيانَ هلْ أقسمُتمْ كُلّ مَقَسَمَ

(ابن أبي سلمى، 1408هـ/1988م،7)

إن اتصاف الإنسان بقيمة العفو والصفح لهو دليل على رفعة النفس وصفائها، وقوة عزيمتها وقوة إيمانها، ومدى ما تتحلى به من أخلاق إسلامية فاضلة، فهي نفس سوية تأبى الحقد، والغل والانتقام، والثأر، والصفح والعفو يعضد العلاقات الإنسانية والاجتماعية. وهذا ما كان يرمي إليه الشاعر صاحب القيم زهير، الذي رفض حتى كتمان الحقد والغدر بعد العفو والصفح وأشار بعبارة توحيدية، نهياً عن الانتقام، والثأر، وكتمان الغدر، فقال زهير:

فَلا تَكْتُمنّ الله مَاَ فِي صُدُورِكْم لِيُخفَى ومَهَما يَكُتمْ اللهُ يَعْلمِ.

(ابن أبي سلمى، 1408هـ/1988م، 7)

ومن يقم بالغدر فإن الله سيأخذه إما بغتة أو يؤخره ليوم الحساب، قال زهير:

يُؤخرُ فَيوُضَعُ فِي كِتابٍ فَيدُخرُ لِيومِ الْحسابِ أو يُعجِل فَينقُم

(ابن أبي سلمى، 1408هـ/1988م، 2)

إذن تطبيق هذه القيم يقع على كل أفراد المجتمع، وحتى الذين لا يستطيعون تطبيقها يقفون منها موقف المقتنع بمبادئها دون معارضة أو مواربة ، أو شيء يخل بوجودها. أما العجز عن تطبيق هذه المثل، فهو أمر لا يعني – بأي حال من الأحوال – وجود نفعي فيها أو ملامح من العيب التي تطوف حولها، لذا فقد كان لزاماً أن تكون المثل قوية بالالتزام بتطبيقها تطبيقاً حرفياً.

8. الحكمة:

إن الحكمة من أعظم الأخلاق التي تحدث عنها الفلاسفة والعلماء، وهي فضيلة النفس الناطقة، ذلك أن الحكمة تقدم أفضل السبل المتاحة للحصول على أسمى المعاني الأخلاقية، وأرقى الظواهر السلوكية، من خلال تقديم خيارات متنوعة من الأفكار والرؤى العقلية البصيرة بعواقب الأمور وغايتها، ولذا نجد أن الرؤية الإسلامية للشعر تقوم على اعتبار أن تحقيق مبدأ الحكمة مطلب أساسي للحكم على جمالية الشعر، وهي غاية الشعر في، حين ترى أن عنصر التخيل فيه وسيلة لتحقيق الحكمة من خلال سحر البناء اللغوي للنص الشعري، حيث قال الرسول صلى الله عليه وسلم:((إن من الشعر لحكمة وإن من البيان لسحراً))، فلا تتحقق الحكمة إلا من خلال سحر النص الذي يشكله التنوع، من خلال الخطاب في عنصر التخيل، الذي يعطي المعنى الشعري تأثيراً وتوجيهاً. ومن الحكمه قول أبو هلال العسكري:

فإنّ الحقَ مقطعُه ثَلاَثُ يَمينٌ أو نفارُ أو جَلاءُ

(العسكري،1967، 342).

وكان سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يعجب بهذا البيت ويقول: (لو أدركته لوليته القضاء، لحسن معرفته، ودقة حكمته) (ابن قتيبة ،1945، 48). وقال بعض الرواة أن زهيراً نظر في رسالة عمر بن الخطاب إلى أبي موسي الأشعري ما زاد عليها على ما قال (فإن الحق مقطعه ثلاث...)

الخاتمة

ولعلي في نهاية هذا البحث أكون قد وفقت في استقراء وتتبع القيم الإسلامية في مذهبة الشاعر الجاهلي زهير بن أبي سُلمي، شاعر الجمال والقيم والحقيقة والحكمة.

يتعلم الفرد المسلم في شعر زهير قيماً كثيرة، وفي شعره مبدأ تربوي عظيم، يبدأ بالنفس أولاً، ثم الآخرين، تحقيقاً لمبدئية القدوة الحسنة، لأنها أساس الدين. وحينما يتحلى العبد بهذه القيم، فإنه يسهم إسهاما إيجابياً وفعلياً في تقديم الخير للمجتمع، حضاً على الإصلاح، ودفعاً للشر والفساد، لاسيما في الزمان الذي كثر فيه الفساد والجهر بالمعاصي، وفقد القيم النبيلة السمحة.

النتائج

وتوصلت الدراسة إلى الآتي: أن القيم تنشأ على ثلاثة أركان أساسية:

الأول: ما يمكن أن يسمى تنظيماً لعلاقة الإنسان بربه في المقام الأول ثم علاقة الإنسان بمجتمعه.

الثاني: هذه القيم عبارة عن مبادئ، لا ترقى إلى مستوى المبدأ إلا إذا كانت سلوكاً وواقعاً.

الثالث: القيم معايير ومقاييس للحكم على الأشياء والتصرفات، إضافة إلى أنها موجهة للسلوك البشري، كما أنها تمثل معتقدات يتمسك بها أفراد المجتمع، وأن مفهوم القيم الإسلامية يتميز عن غيره بالعد السلوكي والحكم الشرعي.

كما توصلت الدراسة إلى أن زهير بن أبي سُلمى أحد أصحاب المذهبات وهو من المتقدمين على سائر الشعراء، ويمثل زهير فئة المؤمنين بالحياة الأخرى، المتمسكين بالفضيلة الشخصية والاجتماعية، من وفاء، وقناعة، وإقدام، ومصانعة وبذل، وحكمته وليدة الزمن والاختبار، وهي واسعة النطاق، ونجد وصية زهير ودعوته إلى الاهتمام بالقيم وممارستها في الحياة الاجتماعية، واضحة في شعره.

التوصيات:

وصى الباحث بمواصلة الدراسة في شعر زهير لما يحمله من قيم وأخلاق تفضي بالمجتمع إلى نهايات حسنة.

المراجع:

1. الحسن، إحسان محمد، 1995، التراث القيمي في المجتمع العربي بين الماضي والحاضر، دراسات عربية، العدد 9، ص 82–100.
2. الأصفهاني، أبو الفرج الأصفهاني، 1407، الأغاني، بيروت، دار الفكر، ط1.
3. الأمين، عبد الله، 2009، الاستشراق في السيرة النبوية، مجلة تفكر، العدد 1.
4. كلاب، إلهام، 1998، نسق القيم في لبنان، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، العدد 183.
5. البستاني، بطرس، 1993، أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، دار الجيل بيروت ط4.
6. البغدادي، عبد القادر بن عمر، 1903، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، القاهرة، المطبعة السلفية، ط1.
7. جمال الدين بن مكرم، ابن منظور،1994م، لسان العرب، القاهرة – مصر، دار المعارف.
8. الجمحي، ابن سلام، 1408م، طبقات الشعراء، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1.
9. محي الدين، حسين، 1981م، القيم الخاصة لدى المبدعين، القاهرة، دار المعارف.
10. عبد الرحمن، سعد،1966م، أسس القياس النفسي الاجتماعي، مكتبة القاهرة.
11. ديوان ابن زيدون، أحمد بن عبد الله المخزومي بن زيدون، 1967، ت، يوسف فرحات، دار النهضة، مصر للطباعة والتوزيع، د.ط.
12. الألبيري، أبي إسحاق،1991، ديوان أبي إسحاق الألبيري، ت، محمد رضوان الداية، بيروت، دار الفكر المعاصر، ط1.

13. الشافعي، محمد بن إدريس، 2009، ديوان الإمام الشافعي، محمد إبراهيم سليم، ط5.
14. ابن أبي سلمي، زهير، ديوان زهير بن أبي سلمى،1988، تحقيق، علي حسن فاعور، بيروت لبنان، دار الكتب العلمية، ط1.
15. نور الدائم، عبد المحمود بن الشيخ،2003، شرب الكأس، الدار السودانية للكتب، ط3.
16. الأصفهاني، الراغب،1987م، غريب القرآن، بيروت، دار المعارف، ط6.
17. محمد، الشافعي إبراهيم، 1971م، الاشتراكية العربية للتربية، القاهرة، مكتبة النهضة، ط2.
18. الشريفة،1995م، مجلة دراسات الجامعة الأردنية، سلسلة العلوم الإنسانية، ط2.
19. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري،2009م، دار طيبة للنشر.
20. زاهر، ضياء الدين،1984م، القيم في العملية التربوية، مؤسسة الخليج العربي، ط2.
21. الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، 1990، دمشق، دار الفكر المعاصر، ط5.
22. أبو العينين، علي خليل مصطفى، 1980م، فلسفة التربية الإسلامية في القران الكريم، القاهرة، دار الفكر العربي.
23. الفاخوري، حنا،1991م، الموجز في الأدب العربي وتاريخه،ج1، دار الجيل، الطبعة الثانية.
24. فتح الباري بشرح صحيح البخاري،الامام ابن حجر العسقلاني،1997م، ت، الشيخ عبد العزيز بن باز، القاهرة، مكتبة الصفا.
25. إبراهيم، القيسي مروان،1996، المنظومة القيمية الإسلامية كما تحددت في القرآن الكريم والسنة، ط1.
26. مجمع اللغة العربية،2003م، المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية، تركيا.

27. دينولد، نيكلسون،1983م، تاريخ أدبيات عرب، ترجمة كيوان ويستار، مطبعة الحلبي، مصر.

28. النووي، 1993، رياض الصالحين، مطبعة الحلبي وشركاؤه، مصر. ط3.

29. LMONT, B, CA,1976,Building For teachers, pis

30. Shavev,1, and Strong W., Facing value necisions Rationale